مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، ص171– ص203 يونيو 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

الإبعاد والإخراج من الديار
دراسة موضوعية في القرآن والسنة

د. وائل محيي الدين الزرد
الأستاذ المساعد في الحديث النبوي الشريف وعلومه
الكلية الجامعية للعلوم المهنية والتطبيقية
فلسطين – غزة

ملخص: إنَّ الفئةَ الظالمة من يهود هذا الزمان المتحكمين في أرض المسلمين "فلسطين" لا يألون جهدًا في متابعة الذين كفروا من الأمم الغابرة في هالك الأيام، يسيرون حذو القُذة بالقذة مقتدين بمن أخرج الأنبياء والمرسلين من أوطانهم، ومهتدين بمن سعى في إبعاد المؤمنين عن مواطن سكناهم، ولا يزال الظلمة من الإسرائيليين الصهاينة يسيرون على نفس المنوال، ما انفكوا عنه طرفة عين، حتى يأذن الله بوقف ظلمهم وإبطال كيدهم على يد المجاهدين.

اليهود كانت ولا تزال أمة تنتشي بقتل الأطهار وتحتفل بملاحقة الصالحين، أمةٌ قتلت أنبياءَها، وطاردت صالحيهَا، وأدارت ظهرَها لقوافل الرسل الكرام والأنبياء الأطهار، الذين أرسلوا لها ليثنوها عن غيها ويرشدوها إلى أفق الاستقامة ودرب النور.. هذا أمسها.. وهذا يومها شاهد على أنها الأمة المغضوب عليها

وفي هذا البحث سلطَ الباحثُ النظرَ على إشكالية الإبعاد الممارسة من قبل الظالمين على مر التاريخ، حسب ما عرض لنا القرآن الكريم، ووفق ما جرى مع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم كذلك، وحسبما جاء في السيرة من أحداث إبعادٍ سُمِّيت بالهجرة النبوية، والتي نطق بها القرآن الكريم مرات عديدة، وصولًا إلا ما يقع على أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم، والإبعاد" أو "الإخراج" كلاهما مصطلحان يدلان على عقوبةٍ تلحق بالمُبعَد المُخرَج، وقعت لرموز الشعب الفلسطيني مرات عديدة، وقد طرقتُ الموضوع الآن لاستمرار ممارسة اليهود لهذه الفعلة الشنيعة، دون أن يرعَوُا أو يَنْتهوا .

Abstract: Nowadays, The oppressive group of Jews, who controls the land of the Muslims " in Palestine" continuing to follow-up their ancestors whom dismissed our Prophets from their homelands, but soon Allah will beat them with the hands of scrambled people. Jews were and still a nation who like killing children and celebrating when catching the righteous people, it's a nation which killed their prophets, humiliated their righteous people, whom dismissed all people whom guided them to rightness.

So, this researcher in this research focuses on the history of the conflict with those oppressive groups of Jews according to what mentioned in our Holly Quran. And according to the history of our prophets and our ancestors. And a according to the history of the prophetic immigration, continuing to the current oppressive on the Palestinian people and to the exile of our leaders, so I choose this topic because of their continuing oppressions against us.

المقدمة:

عيشُ الإنسان في موطنه وبين أهله، حقٌّ كفلته كلُّ العقول البشرية السوية، فالإنسان لا يشعر بالأُنس إلا في موطنه وبين أهله، وكلما ابتعد عن عشيرته شعر بالحزن والأسى، وحين "سُئِلَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ حِينَ جَلَسَ مَوْضِعَ أَبِيهِ: **لِمَ كَانَ السَّفَرُ قِطْعَةً مِنَ الْعَذَابِ؟ فَأَجَابَ عَلَى الْفَوْرِ: لِأَن فِيهِ فِرَاق الأَحْبَابِ**"[1].

ولأنَّ الأرضَ لا تخلو من الظالمين منذ أن وُجدت، رأينا بعضًا من هؤلاء عبرَ التاريخ الذي عرضه لنا القرآن الكريم، يتفنَّنون في تعذيب المرسلين، واضطهاد المؤمنين، فيسومونهم سوء العذاب، ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم **{ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ }** وكان الإخراجُ والإبعادُ ظلمًا ممارسًا من قبل من لا خلاق له في الدنيا ولا في الآخرة، من أقوام الأنبياء ابتداءً بقوم نوح_ عليه السلام_ وانتهاءً بقوم نبينا محمدٍ_ صلى الله عليه وسلم_.

وقد ورث هذا السوءَ والظلمَ اليهودُ الصهاينةُ في زماننا، فهم حين ولَجوا إلى ديارنا فلسطين، واقتحموا علينا بيوتَنا بمساعدةٍ أوربية وبغفلةٍ عربية إسلامية، حلا لهم –ما أن تمكنوا– أن يُخرجوا أهل البلاد من بلادهم طوعًا أو كرهًا، ترغيبًا أو ترهيبًا، ولطالما حدثت المجازر المروعة ضد أهلنا في فلسطين المحتلة، والتي كان من أبرز أهدافها: الحث على الإخراج والتهجير والإبعاد عن الوطن والبلاد، لتفرغ البلاد للمستقْدَمين من شواذ العالم من الصهاينة الإسرائيليين، وبقي هذا الخلق الذميم راسخًا في العقلية الإسرائيلية إلى الآن .

وفي هذا البحث رأيتُ أن أسلط الضوء على هذه الظاهرة المتمثلة بإخراج المؤمنين من ديارهم وأموالهم، والتي يصطلي بنارها الأحرار من أبناء أمتنا في هذا الزمان، وما عاد الأمر مقتصرًا علينا نحن الشعب الفلسطيني، بل بدا لطُغماتٍ من العالم الظالم أن يحذو حذوَ دولة البغي "إسرائيل"، في إخراج المواطنين من ديارهم، كالذي يحدث في هذه الأيام مع الكثير من المسلمين في أفغانستان والصومال والعراق وسوريا وبورما وغيرها .

وقد رأيتُ أن يكون البحث مشتملًا على مقدمة ومبحثين وخاتمة

مقدمة:

المبحث الأول: "إبعاد الظالمين للأنبياء وأتباعهم عبر التاريخ"_وفيه:

- **المطلب الأول :** المهددون بالإبعاد والإخراج من الأنبياء .

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (624/3) .

- **المطلب الثاني :** إبعاد وإخراج النبي_صلى الله عليه وسلم_من مكة المكرمة .
- **المطلب الثالث :** إبعاد وإخراج الصحابة –رضي الله عنهم– من أرض مكة .

المبحث الثاني: "اليهودُ الصهاينة وممارستُهم للإبعاد في حق الشعب الفلسطيني" وفيه:

المطلب الأول: الإبعاد الجماعي، وفيه:

أولًا: الإبعاد الكبير للشعب الفلسطيني عام 1948 م.

ثانيًا: إبعاد قيادات الحركة الإسلامية إلى مرج الزهور عام 1992 م.

المطلب الثاني: إبعادٌ فرديٌّ، ولا زال متواصلًا.

خاتمـــــــــــة :

وقد ظهر لي فيها بعد البحث: أنَّ الإبعاد والإخراج من الديار سنةٌ سيئةٌ للمجرمين على طول الزمان، وكذلك فإنَّ العودةَ لأصحابِ الدار حقٌّ كالشمس، وأنَّ المبعدين عن ديارهم، والمخرجين من أموالهم وأولادهم، سيعودون يومًا (ما)، فالعاقبةُ للمتقين، والحزنُ والأسى سيلحق بالظالمين، وفي هذه الخاتمة سجلتُ ما وصلتُ إليه من وجوب التثبت في الديار وعدم بيعها والتفريط بها، ومهما حاول الصهاينةُ من إخراج وإبعاد الفلسطينيين عن وطنهم وأرضهم، فسيعودون بإذن الله_ تعالى_، كما عاد المصلحون الأوائل إلى أرضهم، وعدٌ غيرُ مكذوب **{ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }** [القصص: 85].

المبحث الأول وفيه :

- **المطلب الأول :** المهددون بالإبعاد والإخراج من الأنبياء[1] .
- **المطلب الثاني :** إبعاد وإخراج _ صلى الله عليه وسلم_ من مكة المكرمة .
- **المطلب الثالث :** إبعاد وإخراج الصحابة –رضي الله عنهم– من أرض مكة .

(1) بعضُ الأنبياء هدِّد بالإخراج والإبعاد من الديار، وغيرهم تم إخراجهم بالفعل كما سيتضح لنا من خلال البحث إن شاء الله، ولن أذكر إلا ما ثبتت صحته في آي القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، معرضًا عما ورد في كتب أهل الكتاب .

المطلب الأول : المهددون بالإبعاد والإخراج من الأنبياء.

حين أُنزلَ آدمُ_عليه السلام_من الجنة، ووصل إلى الأرض، أنزل اللهُ معه منهجًا قويمًا قائمًا، لا محاباةَ فيه لنبي، ولا مداهنةَ فيه لولي، بل المنهج هو الحكم، على كل من سيسكن الأرض من ذرية آدم عليه السلام، وقد تمثل هذا المنهج في قوله سبحانه **{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** [البقرة: 38،39].

ولأنَّ الأرضَ لم تبقَ على حالها من التوحيد إلا عشرات السنين، فقد بعثَ **{ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}** [البقرة: 213] وحينَ جاءَ الأنبياءُ بالحقِّ وإقامةِ شرع اللهِ وإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقه، ونادَوا بالمساواةِ بين البشر، قائلينَ على لسانِ خاتمهم_ صلى الله عليه وسلم_ **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى]**[1].

حين جاء الأنبياء بمثل هذا القول ونادَوا به، واجههم من يريدون علوًا في الأرض، فمكروا مكرَ السوء، وطفقوا يتفنَّنون في كيفية إيقاف دعوة الأنبياء وصرف الناس عنهم، متخذين في سبيل تحقيق أهدافهم الرخيصة كلَّ السبل المتاحة، والتي لخَّصتْ بعضَهَا آيةُ سورةِ الأنفال **{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** [الأنفال: 30] .

ولأنَّ الإثبات أو القتل لم يُجْدِ نفعًا مع كثير من الأنبياء والدعاة، لجأ الظالمون الآثمون إلى طريقتهم الخسيسة، ألا وهي "**الإبعاد والإخراج**" بقصدِ قطعِ العلاقة بين الأنبياء وأتباعهم، وفضِّ الالتفاف البشري حول دعاة الحقِّ والحرية والسلام، فكان أن نُفيَ الأنبياءُ خارجَ بلادهم، وأُبعِدُوا عن مواطنِ ميلادهم، وأُخرِجُوا من أماكن تأثيرهم، بقرارٍ آثمٍ من الملأ الذين كفروا **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }** [إبراهيم: 14] .

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (474/38) من حديث أبي نضرة عمن سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في خطبة أيام التشريق، وقال الشيخ شعيب ورفاقه: إسناده صحيح. (المكتبة الشاملة) .

والأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام_ نالوا قسطًا وافرًا من الظلم والبغي على يد أقوامهم، ولكنهم ثبتوا أمام كل المحاولات التي استخدمها ضدهم الكافرون، ليبقوا للناس قدوةً **{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ}** [الأنعام: 34] .

ولئن كتبَ التاريخُ إخراجًا لبعضِ الأنبياءِ من بلادِهم وإبعادًا عن ديارِهم، فهوَ ذاتُه الذي أخبرَنا أنَّ دولةَ الظلمِ ساعةٌ وأنَّ دولةَ العدلِ إلى قيامِ الساعة، وأخبرنا أصدقُ القائلينَ_ سبحانه وتعالى_ أنَّ عاقبةَ الظالمينَ الويلُ، وأنَّ الأرضَ للهِ يورثُها منْ يشاءُ، وقد شاءَ أن تكون الأرضُ لعبادِه المتقينَ الصالحينَ **{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)}** [الأنبياء: 105] .

والمُهَدَّدونَ بِالإبعادِ أو المُبعدونَ حقيقةً همْ عَلى النحو الآتي[1]:

أولًا: إبراهيم_ عليه السلام_

من أوائل الأنبياء الذين أرسلوا إلى أقوامهم ليصححوا لهم مسار الحياة وفق منهج الله_ سبحانه وتعالى_، نبي الله إبراهيم_ عليه السلام_، فقد أرسله الله_ سبحانه وتعالى_ إلى قومه حين عبدوا الأصنام من دون الله_ تعالى_، وقد أُرسل فتىً منكرًا لعبادة قومه الأصنام، فقام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقصد إلى أصنامهم **{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}** [الأنبياء: 58].

وكان ممن دعاهم نبيُّ الله إبراهيمُ –عليه السلام– والدَه "آزر"[2]، فهو أحقُّ من دُعِيَ، "فالأقربونَ أولى بالمَعروف"[3]، وإنذارُ العشيرةِ الأقربين خلقُ المؤمنين[4]، فجاء والدَه بالبينات والآيات الباهرات، متأدبًا له فيما يقول، لا يتجاوز عباراتٍ متكررةً، كلها أدبٌ جم، وخلقٌ حسن **{يَا أَبَتِ لِمَ**

---

(1) الترتيب الذي ذكرتُ الأنبياءَ –عليهم السلام– على سياقه، هو الذي اعتمده الإمام ابنُ كثيرٍ رحمه الله في كتابه الكبير "البداية والنهاية"، وهو الذي يتوافق مع آيات القرآن الكريم.

(2) "آزر" هو والد نبي الله إبراهيم، بهذا نطق القرآن الكريم صراحةً في أكثر من آيةٍ كريمة، ولا فائدة من وراء التنكر لصريح القرآن بحجة واهية مفادها: كيف يكون والد إبراهيم كافرًا، قلت: هذا لا يضر، فالله سبحانه يخرج الحي من الميت، وفي القرآن أنَّ ابن نوح وزوجته كانا على غير دينه، وامرأةَ لوط كانت من الغابرين الهالكين، وهكذا فكل إنسان ألزمه اللهُ طائرَه في عنقه هو وحده.

(3) يظن بعضُ الناس أن هذه العبارة نصٌّ من حديث نبوي، والصواب خلاف ذلك، فقد قال السخاوي رحمه الله: ما علمته بهذا اللفظ [المقاصد الحسنة للإمام السخاوي 134/1]، وقال الشيخ الألباني: لا أصل له [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 555/1]، وإن كانت العبارة صحيحة المعنى، ولكن ليس كل ما صحَّ معناه ثبتت نسبته .

(4) إشارة إلى قول الله سبحانه في حق النبي صلى الله عليه وسلم **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: 214] .

تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) } [مريم: 42 – 45]

.

يقول سيد قطب_ رحمه الله_: "بهذا اللطفِ في الخطابِ يتوجهُ إبراهيمُ إلى أبيهِ، يحاولُ أنْ يهديَه إلى الخيرِ الذي هداهُ اللهُ إليهِ، وعلمَه إياهُ وهوَ يتحببُ إليه فيخاطبُه: «**يَا أَبَتِ**»"[1].

وهنا ثارت ثائرة الجاهلية الأولى، فاستكبر آزر على الحق، ورفض الانصياع لأوامر متلقي الوحي، وهو ولده الذي يعرف صدقه ونسبه، ولم تصل الدعوةُ اللطيفةُ الرقيقةُ إلى القلب المشرك الجاسي[2]، فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد، قائلًا بصلف الشرك **(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)** [مريم: 46].

وهذا الرد من آزر يدل على قسوة القلب وانعدام الأبوة، فلم ينادِ ولده بقوله **[يا بُنَيَّ]** كعادة الآباء ذوي الحنان والألفة، وإنما قابله بتهديد ووعيد، "لأَرْجُمَنَّكَ" بنفسه بدون رحمة أو شفقة، وهي عقوبة عاجلة، أو فلتهجرني طويلًا حيث لا أراك ولا تراني، إذًا هو تهديد بالإبعاد ووعيد بالإخراج المدة الطويلة غير معلومة العدد.

يقول محمد الطاهر ابن عاشور –رحمه الله–: " وَجُمْلَةُ "**وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**" عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ "**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ**" وَذَلِكَ أَنَّهُ هَدَّدَهُ بِعُقُوبَةٍ آجِلَةٍ إِنْ لَمْ يُقْلِعْ عَنْ كُفْرِهِ بِآلِهَتِهِمْ، وَبِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ وَهِيَ طَرْدُهُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ وَقَطْعُ مُكَالَمَتِهِ، وَالْهَجْرُ: قَطْعُ الْمُكَالَمَةِ وَقَطْعُ الْمُعَاشَرَةِ، وَإِنَّمَا أَمَرَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ بِهِجْرَانِهِ وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ هُوَ يَهْجُرُهُ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْهِجْرَانَ فِي مَعْنَى الطَّرْدِ وَالْخَلْعِ إِشْعَارًا بِتَحْقِيرِهِ، "**وَمَلِيًّا**": طَوِيلًا، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لِأَنَّهُ يُقَالُ: أَمْلَى لَهُ، إِذَا أَطَالَ لَهُ الْمُدَّةَ"[3].

وهنا قد وقع التهديد بالإبعاد والإخراج من الديار لنبي الله إبراهيم_ عليه السلام_، فما عاد له متسع في وطنه وبين أهله، فالمهدد هنا والده وقومه من وراءه، ووجد نبي الله إبراهيم في الله ملجأً وملتحدًا فقال **(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [الصافات: 99] .

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (4/ 2311) .

(2) على وزن "القاسي"، وهما متفقان وزنًا ومعنىً .

(3) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: (16/ 120) .

قال القرطبي –رحمه الله–: "أَيْ مُهَاجِرٌ مِنْ بَلَدِ قَوْمِي وَمَوْلِدِي إِلَى حَيْثُ أَتَمَكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ فِيمَا نَوَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْخَلْقِ مَعَ لُوطٍ وَسَارَةَ، إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ"[1].

وأصبحت أرضُ الشام ومنها بلادُنا فلسطين، لها لقبٌ أولُ تُعرفُ وتمتازُ به عن باقي البلاد، فهي مهاجَر نبي الله إبراهيم أولًا، بالإضافة لكونها لاحقًا ميلاد نبي الله عيسى، وإسراء نبي الله محمد _عليهم جمعيًا الصلاة والسلام_، فَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا_، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، يَقُولُ: " **سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ** "[2].

"وإبراهيمُ_ عليه السلامُ_ أول من سن الهجرة في ذات الله فقال بعد أن نجاه الله من النار: إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم، فهاجر من بابل العراق إلى الأرض المباركة من الشام وترك وراءه الوطن والأهل والمال. واتجه إلى أرض مجهولة لديه، وبلاد بعدت عليه، فراراً بدينه، وهجراً لقومه وأهله وما يعبدون من دون الله. فخرج إبراهيم ومن آمن معه وهو ابن أخيه لوط_ عليه السلام_، واتخذ من أرض الشام دار هجرة، فكانت الشام تعرف بعد ذلك (بمهاجر إبراهيم) . وسر هذه الهجرة كغيرها من الهجر في ذات الله: أن يتمكن المهاجر من عبادة الله_ تعالى_ بعد أن عجز عنها في بلاده، وبين قومه وأن لا يرى المنكر أمامه وهو عاجز عن تغييره وأن يطلب من الأسباب ما يمكنه من الجهاد نصرة للحق وأهله، وإرغاماً للباطل وحزبه"[3].

ثانيًا: لوطٌ عليه السلام

---

(1) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (15/ 97)، وسيشار إليه فيما بعد: تفسير القرطبي .

(2) ح: رواه الإمام أبو داود: ح2482/ص1407، كتاب: الجهاد، باب: سكنى الشام، والحديث إسنادُه ضعيف لوجود: شهر بن حوشب، فإنه سيء الحفظ، ورواه الحا كم (4/ 486– 487) ، وعبد الرزاق في مصنفه 20790، وأحمد: 6952،6871، وأبو نعيم في "الحلية" (54/6 و 66) ، وابن عساكر في"تاريخ دمشق " (149/1 و150) من طريق شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً ... وفيه قصة، وهذا إسناد ضعيف، سكت عنه الحاكم والذهبي، وعلته شهر هذا بن حوشب، فإنه ضعيف لسوء حفظه. ومع ذلك؛ فقد قال الحافظ في "الفتح " (380/11) : "أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به " وقال الشيخ الألباني: "ثم وجدت للحديث طريقاً أخرى، وشاهداً، يتقوى الحديث بهما ولا بد، وعلى كل حال؛ فهو شاهد صالح، وبه يرتقي الحديث إلى مرتبة الصحة إن شاء الله تعالى، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله (7/ 611) .

(3) انظر: نماذج من الدعاة الصالحين لشيخ أبي بكر الجزائري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدنية النبوية (371/17) الشاملة.

كان من قدر الله_ سبحانه وتعالى_ أن يصاحب نبيَّ الله إبراهيم: نبيُّ الله لوط_ عليهما السلام_، وقد ذكر القرآن الكريم أن من أوائل من آمن مع إبراهيم_ عليه السلام_ لوط فقال الله_ سبحانه وتعالى_ **(فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ...)** [العنكبوت: 26] .

" ... وَأَفَادَتِ الْفَاءُ –في الآية– مُبَادَرَةَ لُوطٍ بِتَصْدِيقِ إِبْرَاهِيمَ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى ذِكْرِ لُوطٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا لُوطٌ؛ لِأَنَّهُ الرَّجُلُ الْفَرْدُ الَّذِي آمَنَ بِهِ ... "[1].

ولوطٌ_ عليه السلام_ ما أُرسل لقومه لهوًا ولعبًا، وإنما أرسله الله_ سبحانه وتعالى_ آمرًا وناهيًا ومبلغًا عن الله، حاله كحال كل الأنبياء والمرسلين **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)**.

ومنذ أن قدم نبي الله لوطٌ إلى قومه مبعوثًا ومرسلًا من قبل الله_ تعالى_، بدأ دون سكوت أو سكون يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر، يأمرهم بالطيبات ومنها زواج ما يحل لهن الزواج بهن **(يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)** [هود: 78] وينهاهم عن المنكر ومن أبشعه إتيان الذكران من العالمين **(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55))** [النمل: 54، 55] .

ولأنّ قومَ لوطٍ_ عليه السلام_ انتكست فطرُهم، وانحرفت أخلاقُهم، رضوا بالفاحشة واطمئنوا بها، وفرحوا باللذة الدنيا واستنقعوا فيها، أبَوا الاستجابةَ لنبيهم، وتنكبوا طريقَ رسولهم، واتهموه بما لا يليق، وأخذوا يسخرون منه قائلينَ باستهزاءٍ **(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ)** [الحجر: 70] فعمِهوا في سكرتهم متبجحين، بأنهم كانوا قد نهَوا لوطًا_ عليه السلام_ عن استضافة أحدٍ من الغرباء؛ لأنهم يبغون الفاحشة فيهم، وقيل في تأويل الآية السابقة:"أو لم نَنْهَكَ عَنْ أَنْ تُكَلِّمَنَا فِي أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا قَصَدْنَاهُ بِالْفَاحِشَةِ"[2].

وما كان لنبي الله لوط_ عليه السلام_ أن يكفَّ عن دعوة قومه للطهارة والنقاء، وما كان له أيضًا أن يسكت عن نهي قومه عن مماسة الفاحشة والبغاء، بل بقي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لأن هذا أسُّ رسالته وأساس دعوته **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4))** [إبراهيم: 4، 5] وبقي مستمرًا في دعوته وتبليغ رسالته، وهذا ما لم يرق لقومه أصحاب الفاحشة المستمتعين بالحرام، وقد أدَّاهم طغيانهم لثلاثة أمور كل واحد أسوأ من الآخر:

---

(1) انظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (237/20).

(2) انظر: تفسير الإمام القرطبي (39/10) .

الأول: استعجال عقوبة الله .

أرسلَ اللهُ نبيَه لوطًا ليقوِّم اعوجاج قومه، وليصوِّبَ خطأَ أبناءِ شعبه، ومنذ أن نُبِّئَ لوطٌ_ عليه السلام_، وهو مسلحٌ بالعزيمة والهمة الإرادة القوية، يغشى الناس في ناديهم، وينزل للناس في أنديتهم، يأمر وينهي ويبلغ رسالةَ الله ويخشاه ولا يخشى أحدًا سواه **(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ[1] فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29))** [العنكبوت: 28 – 30].

قال قومُه هذا الكلامَ معتقدين عدمَ صدقِ نبوته، مقرينَ بتكذيبه، متهاونينَ ومستهترينَ بلوطٍ وبمن يؤمن به لوطٌ_ عليه السلام_، ولكنَّ لوطًا_ عليه السلام_ لم يستجب لطلب قومه، وترفع عن مستواهم الدنيء، واستمر في دعوته وأمره ونهيه، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وحين لم يجارهم في طلبهم هذا المنبت عن الإيمان، المجذوم عن التصديق، واستمر في دعوتهم لترك المنكر، ولِوَدْعِ الفاحشة، دعاهم إصرارُه لمجاوزة حد الأدب والذوق، وكشفوا هذه المرة عن حقيقة مفادها أن الظالمين منتكسي الفطرة لا يحترمون دعاة الطهارة، وهذا الذي دعاهم للأمر السيئ الثاني.

الأمر الثاني: التهديد بالإبعاد والإخراج

حين لم يستجبْ نبيُّ الله لوطٌ لدعوة قومِه بالكفِّ عن نهيهم عن ممارسةِ الفاحشة في ناديهم وإتيانهم الرجال شهوة دون النساء، وبقي مصرًا على دعوتهم، ليعذر عند الله بتبليغ رسالته، ولعلهم يتقون، ولكنَّ الفاحشة استقرت في قلوبهم فأُشربوها، ودفعهم هذا لتهديد نبي الله لوطٍ _عليه السلام_ بالإبعاد عن موطنه، والإخراج عن دياره، وقد قصَّ الله علينا طرفًا من قصة التهديد بالإبعاد **(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)** [الشعراء: 165 – 168] .

هي سياسة الاعتداد بالقوة، والاستبداد بالرأي، وكأن الأرض لهم، يخرجوا منها ما يشاءون ويبقوا فيها من يشاءوا، هي سياسةٌ قائمة على رعاية الفاحشة والرذيلة، يقولون: **(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ**

---

(1) رُوِي في شرح الآية حديثٌ إسناده ضعيف، عنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} قَالَ: «كَانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الأَرْضِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» رواه الترمذي: ح3190/ص1977 كتاب: التفسير، باب: من سورة العنكبوت، وأبو صالح اسمه: باذام أو باذان ضعيفٌ مدلس من الثالثة، ولم يصرح بالسماع في هذه الرواية.

عَنِ الْإِنْكَارِ عَلَيْنَا، وَتَقْبِيحِ أَمْرِنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ مِنْ بَلَدِنَا الْمَنْفِيِّينَ عَنْهَا)[1] وما الذي كان في ظنهم من نبي كريم، أن يوافقهم على فواحشهم، أو أن يؤانسهم على سيئاتهم، أو أن يسكت على باطلهم، والله لا يكون هذا من نبي صاحب أبا الأنبياء جنبًا بجنب .

يقول سيد قطب_ رحمه الله_: "والخطيئة المنكرة التي عرف بها قوم لوط هي الشذوذ الجنسي بإتيان الذكور، وترك النساء، وهو انحراف في الفطرة شنيع، فقد فطر اللهُ الذكرَ والأنثى على الميل لبعضهم بعضًا، ليتناغم الكون وفق السنة الإلهية في نظام الكون، فأما إتيان الذكور الذكورَ فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه، فالانحراف عن ناموس الكون واضح في فعل قوم لوط. ومن ثم لم يكن بد أن يرجعوا عن هذا الانحراف أو أن يهلكوا، لخروجهم من ركب الحياة، ومن موكب الفطرة، ولتعرِّيهم من حكمة وجودهم، وهي امتداد الحياة بهم عن طريق التزاوج والتوالد، فلما دعاهم لوط إلى ترك هذا الشذوذ، واستنكر العدوان على الفطرة وتجاوز الحكمة المكنونة فيها، تبين أنهم غير مستعدين للعودة إلى ركب الحياة، وإلى سنة الفطرة، ف**(قَالُوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)**"[2].

الأمر الثالث: اتخاذ القرار بإبعاد لوطٍ_ عليه السلام_ عن بلده

لم يبقَ أمام لوطٍ_ عليه السلام_ إلا أن يعلن لقومه سوء فعلهم، وبراءته من فاحشتهم، فقال بكل جرأةٍ نبويةٍ **(قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)** [الشعراء:168] بأي الكارهين المبغضين، وقاوم تهديدهم بالثبات واليقين، ومضى في سبيل ذات الشوكة يأمر وينهى دون توقف أو تخوف، فما كان لمن اتصل بحبل من السماء ممدود أن يسكته أمثالُ هؤلاء الشواذ، ولو أطبقوا الأرض.

ولكن الطغيان والاستبداد المستحكم في نفوس أهله، يرفض الاستكانة أو الاستسلام، ويبقى يؤز الكافرين أزًّا، حتى إذا ما وصلوا لدرجة اللاعودة، بدئوا بالخروج عن كل مألوفات ومسلمات البشر، وإذا بهم هذه المرة يتفقون فيما بينهم على وجوب وضرورة إخراج لوطٍ_ عليه السلام_ وإبعاده عن الأرض التي يسكن فيها، وحجتهم إبليسية داحضة، وشيطانية هالكة **(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82))** [الأعراف: 82] .

أصبح ذنبُ لوطٍ_ عليه السلام_ أنه متشبث بالطهارة، متمسك بالنقاء، رافض للوثة الفاحشة والرذيلة، فيا سبحان الله، ما أقبح الإنسان حين تنقلب فطرته فيرى المعروف منكرًا، والخير شرًّا، والإيمان كفرًا، والطهارةَ تهمةً .

---

(1) انظر: فتح القدير للإمام الشوكاني (132/4) .

(2) انظر: في ظلال القرآن للشهيد: سيد قطب (2613/5) .

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور –رحمه الله– : " وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أُفْحِمُوا عَنْ تَرْوِيجِ شَنْعَتِهِمْ وَالْمُجَادَلَةِ فِي شَأْنِهَا، وَابْتَدَرُوا بِالتَّآمُرِ عَلَى إِخْرَاجِ لُوطٍ_ عَلَيْهِ السَّلَامُ_ وَأَهْلِهِ مِنَ الْقَرْيَةِ؛ لِأَنَّ لُوطًا_ عَلَيْهِ السَّلَامُ_ كَانَ غَرِيبًا بَيْنَهُمْ وَقَدْ أَرَادُوا الِاسْتِرَاحَةَ مِنْ إِنْكَارِهِ عَلَيْهِمْ شَأْنُ مَنْ يَشْعُرُونَ بِفَسَادِ حَالِهِمْ، الْمَمْنُوعِينَ بِشَهَوَاتِهِمْ عَنِ الْإِقْلَاعِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، الْمُصَمِّمِينَ عَلَى مُدَاوَمَةِ ذُنُوبِهِمْ، فَإِنَّ صُدُورَهُمْ تَضِيقُ عَنْ تَحَمُّلِ الْمَوْعِظَةِ، وَأَسْمَاعُهُمْ تَصَمُّ لِقَبُولِهَا، وَلَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ الْمُنْغَمِسِينَ فِي الْهَوَى تَجَهُّمُ حُلُولِ مَنْ لَا يُشَارِكُهُمْ بَيْنَهُمْ، وَالتَّطَهُّرُ تَكَلُّفُ الطَّهَارَةِ، وَحَقِيقَتُهَا النَّظَافَةُ، وَتُطْلَقُ الطَّهَارَةُ– مَجَازًا– عَلَى تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَالْحَذَرِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَهِيَ الْمُرَادُ هُنَا، وَتِلْكَ صِفَةُ كَمَالٍ، لَكِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا تَمَرَّدُوا على الفسوق كَانَ يَعُدُّونَ الْكَمَالَ مُنَافِرًا لِطِبَاعِهِمْ، فَلَا يُطِيقُونَ مُعَاشَرَةَ أَهْلِ الْكَمَالِ، وَيَذُمُّونَ مَا لَهُمْ مِنَ الْكَمَالَاتِ فَيُسَمُّونَهَا ثِقْلًا، وَلِذَا وَصَفُوا تَنَزُّهَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ تَطَهُّرًا، بِصِيغَةِ التَّكَلُّفِ وَالتَّصَنُّعِ، وَيَجُوزَ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً لِمَا فِي كَلَامِهِمْ مِنَ التَّهَكُّمِ بِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ، وَهَذَا مِنْ قَلْبِ الْحَقَائِقِ، لِأَجْلِ مُشَايَعَةِ الْعَوَائِدِ الذَّمِيمَةِ، وَأَهْلُ الْمُجُونِ وَالِانْخِلَاعِ، يُسَمُّونَ الْمُتَعَفِّفَ عَنْ سِيرَتِهِمْ بِالتَّائِبِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَقَوْلُهُمْ: إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ قَصَدُوا بِهِ ذَمَّهُمْ"[1].

وساعة علم نبيُّ الله لوطٌ_ عليه السلامُ_ أنَّ القوم قد أجمعوا على إخراجه وإبعاده عن البلاد، غسل أيديه منهم، وتعالى أن يعيش بين قوم شاذةٍ فطرهم، يمارسون فاحشة إتيان الذكران دون الإناث دون تحرجٍ[2]، فقرر أن يهاجر إلى ربه_ سبحانه وتعالى_ فقال الله عنه **(فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [العنكبوت: 26] .

"**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي**" ما أجملها من كلمةٍ يقولها المؤمن عندما تضيق عليه الأرض بما رحُبت، يقولها المؤمن لائذًا بالله، مستعيذًا به سبحانه من بطش المجرمين، يقولها المؤمن حين يتكالب عليه الطغاة المستبدون، يهاجر إلى الله لا إلى غيره، فالوجهة والقصد للمؤمن معلوم وإن كان المكان مجهولًا بالنسبة لديه، فالمكان في تفكير المؤمن غير مقصود بذاته، لكنه الله يهاجر إليه المؤمن بقلبه فيجد فيها ملاذًا حانيًا، حصنًا منيعًا، إنه الله رب العالمين، الركن الشديد، ملاذ الخائفين، ملجأ المستعيذين .

---

(1) انظر: التحرير والتنوير للشيخ الإمام: محمد الطاهر ابن عاشور (8ب/225) .

(2) لعلَّ القارئ أدرك أنني لم أورد لفظة [اللواط] تعبيرًا عن فاحشة قوم لوط التي يفعلونها، وهذا الذي أراه أصوب وأفضل وأقرب للتقوى، فلماذا ننسب الفاحشة الشاذة لنبي جاء أصلًا لمحاربتها، وإن كان لا بد فلنسمها باسم أهلها ، فلنقل مثلًا: سادومية، وسادومي وهكذا والله أعلم .

يقول سيد قطب –رحمه الله: "إنَّه لمْ يُهاجرْ للنجاةِ. ولمْ يُهاجرْ إلى أرضٍ أو كسبٍ أو تجارةٍ. إنَّما هاجرَ إلى ربِّه. هاجر متقربا له ملتجئا إلى حماه. هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ودمه. هاجرَ إليه ليُخلصَ له عبادتَهُ ويُخلص له قلبَه ويُخلص له كيانَه كلَّه في مهجرِه، بعيدًا عن موطنِ الكفرِ والضلالِ. بعد أنْ لم يبقَ رجاءٌ في أنْ يَفيءَ القومُ إلى الهُدى والإيمانِ بِحالٍ"[1].

وحين عقد العزمَ نبيُّ الله لوطٌ على الهجرة إلى ربِّه، ليذهبَ مع إبراهيمَ إلى ربِّه أيضًا، كانت المكافأة **(وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71))** [الأنبياء: 71] .

ثالثًا: شعيبٌ عليه السلام

مسيرة الظالمين واحدة لا تتغير بتغير الأيام وتداول السنوات، والملأ الكبراء من الناس أصحاب المصالح الذاتية، الذين لا يكترثون بالآخرة ولا يقيمون لها وزنًا، هم هُم على مدار التاريخ يقفون للمصلحين بالمرصاد، يجترون الماضي البشع من سيَر من سبقهم من الظالمين، يتبعونهم حذوَ القُذة بالقذة، وكأنهم يوصي بعضهم بعضًا بأن يسلكوا مع الأنبياء وأتباعهم مسلك القهر والاستبداد والإبعاد **(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53))** [الذاريات: 52، 53] .

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله–: " وَكَانَ أَهْلُ مَدْيَنَ كُفَّارًا يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَيُخِيفُونَ الْمَارَّةَ، وَيَعْبُدُونَ الْأَيْكَةَ، وَهِيَ شَجَرَةٌ مِنَ الْأَيْكِ حَوْلَهَا غَيْضَةٌ ملتفة بهَا، وَكَانُوا من أسوإ النَّاسِ مُعَامَلَةً؛ يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَيُطَفِّفُونَ فِيهِمَا، يَأْخُذُونَ بِالزَّائِدِ ويدفعون بالناقص، فَبَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ شُعَيْبٌ_ عَلَيْهِ السَّلَامُ_ فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَعَاطِي هَذِهِ الْأَفَاعِيلِ الْقَبِيحَةِ مِنْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ وَإِخَافَتِهِمْ لَهُمْ فِي سُبُلِهِمْ وَطُرُقَاتِهِمْ، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَكَفَرَ أَكْثَرُهُمْ، حَتَّى أَحَلَّ اللَّهُ بهم الْبَأْس الشَّدِيد، وَهُوَ الولى الحميد".

أرسلَ اللهُ إليهم نبيَه شعيبًا_ عليه السلام_، فأمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ**

---

(1) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب (5/ 2732) .

مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87)) [الأعراف: 85 – 87] .

... فما استجابوا لربهم وما عملوا بمقتضى قول نبيهم، بل بادءوه بالسخرية والاستهزاء قائلين **(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87))** [هود: 87]، يقولون بلسانٍ ساخرٍ وقلبٍ لاهٍ ضاحكٍ، مستغربين أن يُؤمروا بالمعروف أو أن يُنهَوا عن المنكر، عادِّين ذلك من المضحكات، وكأنَّ نبيهم شعيبًا_ عليه السلام_ يلهو ويلعب، ومعاذ الله أن يتخذ نبيٌّ قومه هُزُوًا ولعبًا، فإن هذا من أخلاق الجاهلين .

... يَقُولُونَ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّنَقُّصِ وَالتَّهَكُّمِ: أصلاتك هَذِهِ الَّتِي تُصَلِّيهَا، هِيَ الْآمِرَةُ لَكَ بِأَنْ تَحْجُرَ عَلَيْنَا فَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَكَ؟ وَنَتْرُكَ مَا يعبد آبَاؤُنَا الأقدمون وأسلافنا الأولون؟ أَو أَن لَا نَتَعَامَلُ إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَرْتَضِيهِ أَنْتَ، وَنَتْرُكُ الْمُعَامَلَاتِ الَّتِي تَأْبَاهَا؟ "[1].

ومع استهزائهم وسخريتهم إلا أنه عليه السلام استمر في دعوتهم وأمرهم ونهيهم، ولكنهم بدءوا يتجاوزن حدَّ الأدب، وصعَّدوا في عباراتهم ملوحين باستخدام القوة في وجه إن لم يسكت ويترك الناس وشأنهم **(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)** [هود: 91] .

لم يستجبْ نبيُّ الله شعيبٌ لتهديداتِ قومه "أهل مدين" وبقي يبلغ رسالة ربِّه ويستجيب له الناسُ أرسالًا، ولم يرُق هذا للملأ المستكبرين، وبدأت تصل إلى مسامع شعيب_ عليه السلام_ أنباء مؤامرات "أهل مدين"، فبادرهم قائلًا **(وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87))** [الأعراف: 87] لكنهم أبَوا إلا واحدًا من أمرين، كلاهما مُرٌّ **(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)** [الأعراف: 88، 89] .

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور –رحمه الله–: " كَانَ جَوَابُهُمْ عَنْ حُجَّةِ شُعَيْبٍ جَوَابَ الْمُفْحَمِ عَنِ الْحُجَّةِ، الصَّائِرِ إِلَى الشِّدَّةِ، الْمُرْدَهِي بِالْقُوَّةِ، الْمُتَوَقِّعِ أَنْ يَكْثُرَ مُعَانِدُوهُ، فَلِذَلِكَ عَدَلُوا إِلَى إِقْصَاءِ

(1) انظر: قصص الأنبياء للإمام ابن كثير رحمه الله (297/1) .

شُعَيْب وَأَتْبَاعِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ خَشْيَةَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِ بَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَبَثِّ أَتْبَاعِهِ دَعْوَتَهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلِذَلِكَ قَالُوا: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا، وَإِيثَارُ وَصْفِهِمْ بِالِاسْتِكْبَارِ هُنَا دُونَ الْكُفْرِ هُنَا، لِمُنَاسَبَةِ مُخَاطَبَتِهِمْ شُعَيْبًا بِالْإِخْرَاجِ أَوِ الْإِكْرَاهِ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْجَبَّارِينَ أَصْحَابِ الْقُوَّةِ"[1].

رابعًا: يوسفُ عليه السلام

آتى اللهُ نبيَّه يوسفَ_ عليه السلام_ قسطًا عظيمًا من الجمال، فشطرُ الجمالِ ليوسفَ بنِ يعقوب_ عليهما السلام_ مسند، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: " **أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ**"[2]، ولجمالِ منظره وحُسنِ خُلقهِ وصغرِ سِنِّه قرَّبه والدُه يعقوبُ_ عليه السلام_ أكثرَ من إخوته فكادوا له كيدًا (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) [يوسف: 5] .

وكان من كيدهم أنهم قرروا الخلاص من أخيهم يوسف_ عليه السلام_ بأي وسيلة، ذلك لأنهم رأوا أباهم يعقوب يقربه أكثر منهم، ويفرح به دونهم فقالوا (**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)**) [يوسف: 8].

ومجاوزتُهم لحدِّ الأدب مع أبيهم وتطاوُلهم على مقامِ الأُبُوة أدَّاهم هذا إلى التفكير الشيطاني بضرورة التخلص من يوسف_ عليه السلام_ وليكن ما يكون (**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)**) [يوسف: 9،10] .

كانت خياراتهم في التخلص من أخيهم يوسف_ عليه السلام_ تدور حول:

1. اقتلوه.
2. اطرحوه أرضًا.
3. ألقوه في غيابت الجبِّ.

أشفق إخوةُ يوسفَ على أخيهم وما استساغوا أن يقتلوه بأيديهم، فنزلوا من طلب قتله بأيديهم إلى الأخف، وهو "الطرح في الأرض؛ أي : "غَيِّبُوه عن أبيه في أرضٍ بعيدةٍ لا يتمكن من رؤيته فيها"[3]وحين رأوا أنَّ الإبعادَ عن دارِهِ ومكانِ سُكناهُ وإلقاءَهُ في وادٍ غيرِ ذِي زرعٍ سيُفضي به إلى الموتِ المُحَقق أيضًا استجابُوا لِاقتراح إلقاءه في الجبِّ دونَ موت!

---

(1) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (5/9) بتصرفٍ يسير.

(2) رواه الإمام أحمد في المسند (441/21) رقم: 14050 وإسناده صحيح كما قال الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند.

(3) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص: 394 .

يقول سيد قطب –رحمه الله– في تعليقه على الاقتراحات الثلاثة السابقة:

"وهما قريب من قريب، فطرحُهُ في أرضٍ نائيةٍ مقطوعةٍ مُفضٍ في الغالب إلى الموت ولماذا؟ «يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ»، فلا يحجبُهُ يوسفُ، وهم يريدون قلبَه، كأنَّه حينَ لا يراهُ في وجهِه يصبحُ قلبُه خالياً منْ حبه، ويتوجه بهذا الحب إلى الآخرين! والجريمة؟ الجريمة تتوبون عنها وتصلحون ما أفسدتم بارتكابها «**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ**» !

هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عند ما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث، وهكذا لما غلا في صدورهم الحقدُ برز الشيطانُ ليقولَ لهم: اقتلوا.. والتوبةُ بعدَ ذلك تُصلح ما فات! وليستِ التوبةُ هكذا، إنما تكونُ التوبةُ من الخطيئةِ التي يندفعُ إليها المرءُ غافلاً جاهلاً غيرَ ذاكرٍ حتى إذا تذكرَ نَدِمَ، وجاشتْ نفسُه بالتوبة"[1].

يُتخذ القرار بإبعاد وإقصاء يوسف_ عليه السلام_ عن نظر أبيه حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وقد وقع لهم ما أرادوا فقد خلا لهم وجه أبيهم ولكن بقي قلبه مشغولًا بيوسف فلا يرى سواه، ولا يفكر في غير محياه، إنه يوسف القلب ولو أُبعد عن الأرض، إنه يوسف الفؤاد ولو أخرج من الديار، إنه يوسف الحياة ولو خرج من الحياة !

خامسًا: موسى عليه السلام

من أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن الكريم نبي الله موسى_ عليه السلام_، فقد أخذ سرد قصته بأساليب مختلفة مساحةً واسعةً من آي القرآن الكريم؛ ذلك لأنهم أقرب الأمم للأمة الخاتمة؛ ولأن صراعنا معهم سيستمر إلى يوم القيامة، فأراد الله –رحمةً منه– أن يبصرنا بطبيعة ونفسيات هؤلاء القوم، حتى نكون على بينة من أمرنا ونحن نتعامل معهم.

وقد قصَّ الله علينا قصة نبيه موسى_ عليه السلام_ يوم أن وكز القبطي فقضى عليه، فقال مسرعًا (**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15)**) [القصص: 15]؛ ولأن الأمر يتعلق بإزهاق روحٍ ثار الخبر كالنار في الهشيم، وبدأت حاشية فرعون تفكر في أمر قاتل القبطي ليل نهار، فإنه لم يسبق أن قُتل قبطي بين أظهرهم دون أن يُعلم قاتلُه .

وشاء الله_ تعالى_ أن تتكرر التجربة مع نبي الله موسى_ عليه السلام_ مرة ثانية، فاعترض طريقه قبطي آخر من حاشية فرعون، كان قد اعتدى على نفس الرجل الذي استغاث به من قبل (**فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18)**)؛ ولكن لأن

---

(1) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب رحمه الله (1973/4) .

موسى_ عليه السلام_ لا يرضى بالظلم ولا يقبل أن يضام واحد أمامه، ويستنجد به دون أن يقدم العون والمساعدة؛ لأنه كذلك تقدم مرة ثانية لتخليص الرجل ذاته من يد الفرعوني، فوقعت المفاجأة **(فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19))** .

تبين لموسى_ عليه السلام_ أن خبر قتله للفرعوني قد انتشر **(فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)** وكانت حاشية فرعون قد اتخذت قرارًا بتصفية موسى_ عليه السلام_، دون إقامة محاكمة أو توجيه اتهام، فالظالمون عندهم **[التهمة جاهزة والضمير ميت]** وهنا جاء الهروب الأول، والإبعاد القسري عن الديار والأوطان **(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21))** [القصص: 15 – 21] فتوجَّه موسى_ عليه السلام_ من فرط خوفه على نفسه إلى مدين، فارًّا بدمه من القوم الظالمين، قائلًا **(عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)** .

وكان هذا هو الإبعاد القسري الأول لنبي الله موسى_ عليه السلام_، فرارًا بدمه ونجاة بنفسه من بطش الظالمين، من ملأ فرعون الذين استكبروا، وبقي نبي الله موسى_ عليه السلام_ فارًا بنفسه عشر حجج، إلى أن قضى الأجل ثم سار بأهله ليباشر دعوة فرعون وقومه، وليخلص بني إسرائيل من يد فرعون وملأه.

بدأ نبي الله موسى دعوته، وتوجه بها إلى رأس الكفر في بني إسرائيل "فرعون"، فأمره ونهاه ووعظه وذكره، وقال له **(هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) }** [النازعات: 18 – 23] .

ومع ازدياد اجتماع بني إسرائيل على نبي الله موسى_ عليه السلام_، بدأ فرعون والملأ من قومه يشعرون بالخوف من زوال كرسيهم، ومع ذلك لا يستطيعون إيقاف دعوة موسى_ عليه السلام_، فقد حاولوا بأساليب كثيرة ولكنه لم يصمت، بل بقي يدعو ويجتمع الناس حوله مؤمنين به، حتى السحرة الذين جاء بهم فرعون ليدحضوا حجة موسى_ عليه السلام_، كانت نهايتهم **(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70))** [طه: 70، 71] .

ومن خلال ما سبق تبين لفرعون وملأه أنه لا طاقة لهم بموسى_ عليه السلام_، وإذًا لا بدَّ من تأليب الرأي العام عليهم لاستئصال شأفتهم وإيقاف دعوتهم، وقبل أن تصل إليهم يد الظالمين كان الله تعالى قد جعل للمؤمنين مع موسى_ عليه السلام_ فرجًا ومخرجًا **(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77))** [طه: 77] .

عَلِمَ فرعونُ بالخبر **(فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60)**) [الشعراء: 52 – 60].

إن التضييق الذي مارسه فرعونُ على نبي الله موسى_ عليه السلام_، من تكميمٍ للأفواه، ومصادرةٍ للحريات، ومنعٍ للتواصل مع الناس، وتهديد ووعيد لمن آمن وعمل صالحًا، كل هذا كان السبب الرئيس في أمر الله موسى_ عليه السلام_ بالخروج من ديار لا يحكمها إلا الظالمون، فالداعي إلى الله إن كُمِّم فمُه، وصُدرت حريتُه، وأُغلقت الأبوابُ دونَه ، فذلك مقتلُه ولا ريب!

المطلب الثاني : إبعادُ وإخراجُ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ عن مكةَ المكرمة .

لم يكن نبينُا_ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم_ بدعًا من الرسل، بل كانَ لبنةً تُمِّمَ به بناءُ النبوة الخالدة والرسالة الخاتمة، وما جرى على الأنبياء قبله جرى عليه_ صلى الله عليه وسلم_، فصبرَ كما صبرَ أولو العزم من الرسل، حتى أتاه أمر الله سبحانه وتعالى وهو ثابتٌ صابرٌ **(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)**) [الأنعام: 34، 35].

وقصةُ إخراجِ النبيِّ_ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ_ من مكة، بدأتْ إرهاصتُها منذُ اللحظةِ الأولى للنبوة والوحي، ففي صحيحِ البخاري من حديثِ عائشةَ_ رضي الله عنها_، حديث بدء الوحي "... فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"[(1)].

إنَّ الذي تعرَّف على الناموسِ الذي جاء من عند الله، يدرك تمامًا أنَّ الإخراجَ من الديار سنةٌ جاريةٌ في حقِّ الأنبياء والرسل والدعاة، سنةٌ لا تختلف ولا تتبدل، ومن خلال تتبع القرآن الكريم نجد أن مسألة إخراج النبي_ صلى الله عليه وسلم_ من موطنه وبلده مكة المكرمة سُطِّر في آيات عدة، بعضها مكي النزول، وبعضُه الآخر مدني النزول[(2)].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: ح3/ص1 كتاب: الإيمان، باب: كيف كان بدء الوحي .

(2) "المكي" من القرآن هو ما نزل قبل الهجرة وإن لم ينزل بمكة، و"المدني" من القرآن هو ما نزل بعد الهجرة وإن لم ينزل بالمدنية. انظر: مباحث في علوم القرآن: [ص61] للشيخ مناع القطان .

الآيات التي نزلت بمكة وتتحدث عن الهجرة:

1. **(وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77))** [الإسراء: 76، 77] .
2. **(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85))** [القصص: 85، 86] .

والذي يظهر لي –والله أعلم– من وراء نزول هذه الآيات في المرحلة المكية: أن الله_ سبحانه وتعالى_ أراد أن يُعلمَ النبيَّ_ صلى الله عليه وسلم_ بما يمكر به الذين كفروا من أهل مكة، حتى يكون على بينة من أمره، خاصةً أن أمر الإخراج من الديار كان قد وصله على لسان ورقة بن نوفل " **لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا** " وجاءت الآية الأولى تخبره بخبر كيدهم ومحاولتهم استفزازه من الأرض لتخلو لهم، ولكنها تحمل في طيَّاتها خبر إهلاكهم وعدم لبثهم بعده إلا قليلًا، وجاءت الآية الثانية[1] لتخبر النبيَّ_ صلى اللهُ عليه وسلم_ بأنه سيعود إلى وطنه وأرضه معززًا منتصرًا، وهذا يعني أن الأمر قد حُسم والقرار بالإخراج والإبعاد قد اتُّخِذ !

ترك رسولُ الله_ صلى الله عليه وسلم_ مكةَ وهي أحبُّ البلادِ إلى نفسه، ولذا رأيناهُ_ صلى الله عليه وسلم_ حينما ابتعدَ عن مكةَ نظرَ إليها، وودَّعها بكلماتٍ تؤكد حبَّه لها، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ_ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ فَقَالَ: " **وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ** "[2].

يقول الأستاذ سيد قطب –رحمه الله–:

... يتوجه الخطابُ إلى رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– ومن خلفه القلةُ المسلمة التي كانت يومها بمكة، يتوجه الخطاب إليه وهو مخرجٌ من بلده، مطاردٌ من قومه، وهو في طريقه إلى المدينة لم يبلغها بعد، فقد كان بالجحفة قريبًا من مكة، قريبًا من الخطر، يتعلق قلبُه وبصرُه ببلده الذي يحبه، والذي يعز عليه فراقُه، لولا أن دعوتَه أعزُّ عليه من بلده وموطن صباه، ومهدِ

---

(1) قَالَ مُقَاتِلٌ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَارِ لَيْلًا مُهَاجِرًا إلى المدينة في غير طريق مَخَافَةَ الطَّلَبِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقِ وَنَزَلَ الْجُحْفَةَ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى مَكَّةَ فَاشْتَاقَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:" **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**" أَيْ إِلَى مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهَا. [تفسير القرطبي (13/ 321)].

(2) رواه الترمذي في سننه: ح3925/ص2052 كتاب: المناقب، باب: في فضل مكة، والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد قال الشيخ الألباني: صحيح .

ذكرياته، ومقرِّ أهله. يتوجه الخطاب إلى رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ وهو في موقفه ذاك: **«إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» ...**

فما هو بتاركِكَ للمشركين، وقد فرض عليك القرآن وكلفك الدعوة، ما هو بتاركِكَ للمشركين يخرجونك من بلدِك الحبيب إليك، ويستبدونَ بك وبدعوتِك، ويفتنون المؤمنين من حولِك، إنما فرض عليك القرآنَ لينصرك به في الموعد الذي قدَّره، وفي الوقت الذي فرضَه، وإنك اليوم لمخرجٌ منه مطاردٌ، ولكنك غدًا منصورٌ إليه عائدٌ.

وهكذا شاء الله الحكيم أن ينزلَ على عبدِه هذا الوعدَ الأكيدَ في ذلك الظرف المكروب، ليمضي– صلّى الله عليه وسلّم– في طريقه آمنًا، مطمئنًا إلى وعد الله الذي يعلم صدقه، ولا يستريب لحظةً فيه، وإنَّ وعدَ الله لقائمٌ لكلِّ السالكين في الطريق، وإنه ما منْ أحدٍ يُؤذى في سبيل الله، فيصبر ويستيقن إلا نصرَهُ اللهُ في وجه الطغيان في النهاية، وتولَّى عنه المعركةَ حين يبذل ما في وسعه، ويخلي عاتقه، ويؤدي واجبه "[1].

وأما الآيات التي نزلت بالمدينة وتتحدث عن الهجرة:

1. **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30))** [الأنفال: 30]
2. **(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40))** [التوبة: 40]
3. **(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13))** [محمد

والذي يظهر لي –والله أعلم– من وراء نزول هذه الآيات في المرحلة المدنية: أنَّ الله_ سبحانه وتعالى_ أراد أن يمتن على نبيه_ صلى الله عليه وسلم_ بإنقاذه من يد الظالمين، بعد أن مكروا به الليل والنهار، واتخذوا القرار الذي لا رجعة فيه بإثباته أبو بقتله أو بإخراجه، حيث نجاه_ الله سبحانه وتعالى_ من بين أيديهم، فأذهب الله مكرهم هباءً منثورًا؛ لأنه خير الماكرين، وجعل الله إبرامهم وكيدهم في ضلالٍ، لأنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون .

وبقيت الآيات تحكي قصة المستكبرين المعتدين بقوتهم، كيف نصر الله نبيه عليهم وأنجاه من بين أيديهم، مع أنه " لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا" ولكنَّ المددَ الإلهي والمعيةَ الكبرى

---

(1) في ظلال القرآن (2715/5) بتصرف.

جاءت على لسانِ النبوة تقولُ لصاحب السفر "الصديق" " **مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا** "[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله–: "إنّ المسلمين– بإذن رسول الله_ صلى الله عليه وسلم– هرعوا من مكة وغيرها إلى (يثرب) يحدوهم اليقين، وترفع رؤوسهم الثقة، وليست الهجرة انتقال موظّف من بلدٍ قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة، إنها إكراهُ رجلٍ آمن في سربه، ممتدّ الجذور في مكانه، على إهدار مصالحه، وتضحية أمواله، والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره– وهو يصفّي مركزه– بأنه مستباحٌ منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنّه يسير نحو مستقبل مبهم، ولا يدري ما يتمخّض عنه من قلاقل وأحزان ...

ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقيل: مغامر طيّاش، فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها، يحمل أهله وولده؟! وكيف وهو بذلك رضيّ الضمير، وضّاء الوجه، إنّه الإيمان، الذي يزن الجبال ولا يطيش! وإيمانٌ بمن؟! بالله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير.

هذه الصّعاب لا يطيقها إلا مؤمن، أما الهيّاب الخوّار القلق، فما يستطيع شيئا من ذلك، إنّه من أولئك الذين قال الله فيهم: **(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ** ([النساء: 66] .

أمَّا الرجالُ الذين التقوا بمحمدٍ_ صلى اللهُ عليه وسلم_ في مكة، وقبَسوا منه أنوارِ الهُدى، وتواصوا بالحقّ والصبر، فإنهم نفروا خفافًا ساعةَ قِيل لهم: هاجِروا إلى حيث تعزّون الإسلام، وتؤمّنون مستقبلَه"[2].

المطلب الثالث: إبعادُ وإخراجُ الصحابةِ –رضيَ اللهُ عنهم– عن أرضِ مكة.

ما عرفت البشرية جيلًا أعبد لربه ولا أطوع لنبيه ولا أتقن لدينه ودنياه من صحابة نبينا محمدٍ_ صلى الله عليه وسلم_، أولئك مصابيح الدُّجى وأعلام الهُدى، استجابوا لرسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ حين دعاهم إلى ربهم وما ترددوا، وأقحموا أنفسهم في الملمات ابتغاء مرضات الله، قبل أن يُؤمروا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربنا الله .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: ح3653/ص297، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم .

(2) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص: 166 .

لم يرضَ ظالمو مكة وكفرة قريش أن يبقى المسلمون آمنين في أرضهم، مسالمين للقريب والبعيد، بل ساموهم سوء العذاب، فجعلوا بطحاء مكة لهم فراشاً، وشمس الصحراء لهم غطاءً، وألهبوا ظهورهم بالسياط المحرقة، وصلبوهم على الخُشُب ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولكن هيهات، فإنَّ أصحاب رسول الله_ صلى الله عليه وسلم صنعة الرسالة_، وصبغة النبوة، وآية الوحي الواصف لحالهم ما بقي الليل والنهار **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41))**[الحج:39– 41]

يقول الشيخ طاهر بن محمد عاشور معلقًا على الآيات السابقة: " أُخرجوا متلبسين بعدم الحقِّ عليهم الموجبِ إخراجُهم، فإنَّ للمرء حقاً في وطنه، ومعاشرة قومه، وهذا الحق ثابتٌ بالفطرة ؛ لأنَّ من الفطرة أن الناشئ في أرضٍ، والمتولدِ بين قومٍ هو مساوٍ لجميع أهل ذلك الموطن في حق القرار في وطنهم، وبين قومه بالوجه الذي ثبت لجمهورهم، بما في ذلك المكان من نشأة متقادمة، أو قهر وغلبة لسكانه، كما قال عمر بن الخطاب: " إنها لَبلادُهم، قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام" ولا يزول ذلك الحقُّ إلا بموجبٍ قررهُ الشرعُ، أو العوائد قبل الشرع لاعتداء يعتديه المرء ".[1]

ولقد عرض القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته للظلم الذي وقع على الصحابة رضي الله عنهم، فتسبب بهجرتهم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ومع تسمية الإبعاد الذي وقع بالهجرة إلا أن القرآن الكريم أطلق عليه عبارات تفيد أن الهجرة وقعت بالإكراه والجبر والقهر، فلولا أن قومهم أخرجوهم من مكة ما خرجوا، والآيات في هذا كثيرةٌ منها:

(وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 191]

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ

(1) التحرير والتنوير – ابن عاشور – مجلد 8 جـ 17 صـ 274.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)) [آل عمران: 195]

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)) [الحج: 39، 40]

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8)) [الحشر: 8]

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)) [الممتحنة: 8، 9]

وملاحظٌ في الآيات بشكلٍ جليٍّ وواضحٍ استخدام العبارات التي تشير أنهم أُخرجوا عن ديارهم وأُبعدوا عن وطنهم، مثل: " **أَخْرَجُوكُمْ، وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ** "

يقول الأستاذ سيد قطب –رحمه الله–: " هي صورةٌ صادقةٌ تبرزُ فيها أهمُّ الملامحِ المميزةِ للمهاجرين، حيثُ أُخرجوا إخراجًا من ديارهم وأموالهم، أكرهَهُم على الخروجِ الأذى والاضطهادُ والتنكرُ من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنبٍ إلا أن يقولوا ربُنا اللهُ، وقد خرجوا تاركينَ ديارَهم وأموالَهم «**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**» فاعتمادُهم على الله في فضلِه ورضوانِه "[1].

ولقد وقع للصحابة_ رضي الله عنهم_ شيءٌ من الحزن على فراق مكة المكرمة، بلدهم الأول ومسقط رأسهم، ولكنَّ الإيمان كان يُذهب الحزن والأسى، فَعَنْ عَائِشَةَ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا_، قَالَتْ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (3517/6) .

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ،
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ،

قَالَ: اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ**"، قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ، قَالَتْ: فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا"[1].

" لم يكنْ كلامُ بلالٍ_ رضي اللهُ_ عنه ودعاءُ النبيِّ_ صلى الله عليه وسلم_ إلا تعبيرًا عن شعورٍ فطريٍ يعتري الإنسان تجاه منبته وموطنه، والدار التي درج فيها، وترعرع في رباها، وهو شعور يجده كل إنسان في شتَّى بقاع العالم، ليس فيه ما يُعاب أو يُذم بل هو من تمام المروءة وكمال الخلق"[2].

المبحث الثاني: "اليهودُ الصهاينة وممارستُهم للإبعاد في حق الشعب الفلسطيني":

- **المطلب الأول: الإبعاد الجماعي للشعب الفلسطيني، وفيه:**

ü أولًا: الإبعاد الكبير للشعب الفلسطيني عام 1948 م.

ü ثانيًا: إبعاد قيادات الحركة الإسلامية إلى مرج الزهور عام 1992 م.

- **المطلب الثاني: إبعادٌ فرديٌّ للشعب الفلسطيني، لا زال متواصلًا.**

المطلب الأول: الإبعاد الجماعي للشعب الفلسطيني:

مع تتبع آيات القرآن الكريم نجدُ أنَّ اليهودَ من أهل الكتاب قد أخذوا نصيبًا كبيرًا في شرح نفسياتهم وتبيان صفاتهم، والله_ سبحانه_ اللطيف الخبير أعلم بمن خلق،؛ ولأن امتداد بني إسرائيل استمر مع العديد من الأنبياء والرسل؛ ولأنهم باقون –حسب علم الله– إلى قيام الساعة،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: ح3926/ص320، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، وفي كتاب "المطر والرعد والبرق" لابن أبي الدنيا ص:103، قال: قَدِمَ أَصِيلٌ الْغِفَارِيُّ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَاسْتَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ مَكَّةَ كَيْفَ تَرَكْتَهَا؟ فَذَكَرَ مَطَرًا أَصَابَهَا، وَقَالَ: وَتَرَكْتُ بَطْحَاءَهَا قَدِ ابْيَضَّتْ، وَأَمْشَرَ عِضَاهُهَا وَأَعْنَقَ إِذْخِرُهَا، وَأَسْلَبَ ثُمَامُهَا، وَأَبْقَلَ حِمْضُهَا، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِيهًا يَا أَصِيلُ، لَا تُحْزِنَّا**» وفي رواية قال: **دَعِ القُلُوبَ تَقِرّ**" والحديث مرسل، حيث إن هشام بن حبيش –راوي الحديث– لم يدرك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

(2) "تيار التجزئة والتفتيت" للأستاذ: منصور بن زويد المطيري، مقال منشور في مجلة البيان (38/65) .

يجادلون أهل الحق من أهل الإسلام؛ ولأن معركة الباطل سيرفع بنو إسرائيل رايتها أمام الحقِّ وأهله، كل هذا وغيره كان السبب وراء نزول العديد من الآيات عنهم.

واليهود من بني إسرائيل خاصة، لهم مع القرآن قصة وحكاية، فلم يواجه رسولَ الله_ صلى الله عليه وسلم_ في بداية العهد المدني إلا باليهود من أهل الكتاب، وذلك لسكناهم في المدينة مع الأوس والخزرج، وقد أدَّى هذا الاحتكاك باليهود في المدينة إلى نشوب العديد من المعارك بينهم وبين المسلمين من جهة أخرى.

- فهمُ الذين قالوا (**آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**) [آل عمران: 72، 73]
- وهمُ الذين قالوا (**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)**) [آل عمران: 75]
- وهمُ الذين قالوا (**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)**) [آل عمران: 181]
- وهمُ الذين قالوا (**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**) [المائدة: 64]

وأمثال هؤلاء لا يُستبعد عليهم إخراجُ الناس من ديارهم وإبعاد الخلق عن مواطن سكناهم، فالإخراج والإبعاد عقيدةٌ عندهم، قد مارسوه بحق بعضهم بعضًا ظلمًا وعدوانًا كما صرح بهذا القرآن الكريم (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)**) [البقرة: 84، 85].

يقول د. وهبة الزحيلي: "كان سفكُ الدماءِ وتقاتلُ اليهودِ وطردُ بعضِهم بعضًا من ديارِهم ظاهرةَ شائعةَ فيهم، وظللت هذه الظاهرةُ إلى عصرِ التنزيل القرآني، فكان يهودُ بني قريظةَ حالفوا الأوسَ، ويهودُ بني النضير حالفوا الخزرجَ، فإذا نَشبت الحربُ بينهم، كانَ كلُّ فريقٍ من اليهودِ يقاتلُ مع حلفائِه، فيقتلُ اليهوديُّ يهوديًا آخرَ، ويخربُ بعضُهم ديارَ بعضٍ، ويخرجونهمْ منْ

بُيوتهم، وينهبونَ مَا فيها منَ الأثاث والمال، معَ أنَّ ذلكَ محرمٌ عليهم بنصِ التوراة، وإذا أُسِرَ بعضُهم فَدَوهم بِالمال"[1].

ولأنَّ الجزاءَ من جنس العمل، واللهُ لا يُظلم عنده أحدٌ، حاق باليهود الظالمين الإخراج من الديار أكثر من مرة، فشُردوا في الأرض، وقُطعوا فيها حيث لا أرض لهم تُقلهم ولا سماء لهم تُظلهم **(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168))** [الأعراف: 168]، فقد حُكم عليهم التيه في الأرض، بذلةٍ ومهانةٍ متفرقين مقطعين، يسكنون الأرض كلها بلا تحديدٍ، حتى إذا فشا ظلمهم وطغى فسادهم أذن الله_ سبحانه وتعالى_ بجمعهم في الأرض التي بارك فيها للعالمين **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا)** [الإسراء: 104] جيء بهم ليسوء وجوههم وليحيق سوء العذاب **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7))** [الإسراء: 7] .

ولقد تسبب اليهود الصهاينة في إبعاد وإخراج المسلمين من ديارهم **[فلسطين]** ولا زالوا يتسببون في ذلك، يمارسون الإبعاد بنوعيه:

1. الإبعاد الجماعي.
2. الإبعاد الفردي.

والإبعاد الجماعي نوعان:

أولًا: الإبعاد الكبير للشعب الفلسطيني عام 1948 م.

منذ أن وطأت أقدامُ الصهاينة اليهودِ أرضَ فلسطين في ثلاثينات القرن الماضي، وهم يعملون الليل والنهار على استقدام اليهود إلى بلادنا فلسطين بقصد إكثار عددهم، ليكونوا أكثر نفيرًا، ويعملون كذلك لإفراغ البلاد من أصحابها الأصليين، وذلك بكل الأساليب سواء كانت أساليب ترغيبية أو ترهيبية.

فقدومُهُم كان حسبَ زعمهم لأرضٍ لا شعبَ فيها، وهم شعبٌ لا أرضَ لهم، فالتقى عندهم المكرُ على أمر قد دُبِّر بليلٍ، فجاءوا إلى فلسطين خفافًا وثقالًا، لا يألون على شيءٍ، جاءوا يحدوهم الأمل في طرد العرب والمسلمين من البلاد ليحلوا محلهم ويأخذوا أرضهم، وقد وصلوا إلى بلادنا في حين ضعف وهوان للأمة كلها، فاستحلوا الأرض، واستباحوا العرض، وأحلوا بأهلنا سوء

---

(1) التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (214/1) .

العذاب، حيث عَلَو في الأرض، وأقاموا المذابح الجماعية التي تهدف لإرهاب السكان الضعفاء، وقد نجحوا إلى حدٍّ كبير، حيث فرَّ الأهالي المساكين في أرض الله الواسعة، وتهجروا في البلاد العربية والإسلامية وغيرها، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ففرغت الكثير من المدن والقرى والأحياء، واستوطنوها اليهود الصهاينة الظالمون ...

يقول الباحثان رشاد المدني وزياد أبو صالح:

" لجأت "إسرائيل" منذ احتلالها للأراضي العربية عام 1967 إلى سن قوانين جديدة، واتخاذ إجراءات وقرارات مدروسة، وتطبيق سياسات متنوعة، بهدف تنفيذ مخططات وبرامج إستراتيجية، تخدم مصالحها السياسية والعسكرية في الأراضي العربية المحتلة من جهة، وجهة أخرى مواجهة أعمال المقاومة الفلسطينية المسلحة، وشل فاعليتها، وضرب كل أشكال النضال، وتحطيم إرادة الجماهير، وذلك من خلال إتباع وتطبيق أساليب وممارسات قمعية ضد الفلسطينيين، وإحدى هذه الممارسات والأساليب الإسرائيلية هي سياسة الإبعاد والتهجير التي تجاوزت في بشاعتها وقسوتها كل المعايير الأخلاقية ، وكل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية التي تحمى الإنسان " [1].

وحتى يصل اليهود لمرادهم من إبعاد الفلسطينيين عن أرضهم وديارهم، سلكوا سبيل العنف والإرهاب، فقتلوا وذبحوا وسفكوا الدماء الطاهرة وأزهقوا الأرواح البريئة، ونشروا الرعب والخوف والهلع بين سكان الأرض الأصليين، مما تسبَّب في إثارة حالةٍ من الرعب بين أوساط السُّكَّان، ففرَّ الكثير منهم هربًا من الموت، أو خوفًا على العيال.

وما ترك الفلسطينيون بلادَهم طواعيةً، ولا باعوها رغبةً عنها إلى غيرها، فهذه أُكذوبةٌ روَّجها أدعياءُ الشعب الفلسطيني من أنصار دولة اليهود المتبرة بإذن الله_ تعالى_، ومنذ أن أُخرج الفلسطينيون من أرضهم إلى الآن وهم يسعون حسب قدراتهم للعودة إلى بلادهم، ويطالبون بعودة اللاجئين إلى مواطن سكناهم الأصلية، ويَسقطُ في مستنقعِ القذارةِ التاريخي من يُسقط حقَّ العودة ويتنازل عنه.

يقول الأستاذ غسان عبد الله:

---

(1) المبعدون الفلسطينيون خلال الانتفاضة – رشاد المدني وزياد أبو صالح – ص: 1 منشورات رابطة الصحفيين العرب في الأراضي المحتلة .

" شرعت سلطاتُ الاحتلال الإسرائيلي منذُ بداية احتلالها لما تبقى من فلسطين، واحتلالها لبعض الأراضي العربية سنة 1967 في تطبيق سياستها الرامية إلى تفريغ الأرض من السكان، بغية إضفاء الصبغة اليهودية بشكل مطلق على فلسطين، ولكي ينسجم الوضع والإدعاء الصهيوني بأن فلسطين هي أرضٌ بلا شعب. وأحد أوجه هذه السياسة كان طرد المواطنين العرب من الأراضي العربية المحتلة أو نقلهم من أماكن سكناهم في نظير أفعال هم غير مسئولين عنها، وشمل ذلك الطرد المثقفين، وقيادي النقابات والمؤسسات الاجتماعية والدينية"[1].

ولقد تشتَّت الفلسطينيون في البلاد كلها، بحثًا عن الأمن، ففي البلاد العربية لهم نصيب كبير (لبنان، وسوريا، والأردن) من المخيمات التي تعج بالآلاف من أبناء هذه الأرض المباركة الذين أُلزموا بالخروج والبعد عن أوطانهم، هذا بالإضافة إلى وصول كَمٍّ كبير من هؤلاء إلى غير هذه البلاد، مثل (مصر، والعراق، وأمريكا وأوروبا، وغيرها) ولقد زاد عدد المهجرين المبعدين من الفلسطينيين في المنافي والشتات قرابة 5.000.000 فلسطينيًا، كلهم يحلم بالعودة إلى الأرض المسلوبة التي طُردوا منها، ولا تجد واحدًا من هؤلاء إلا وهو ينادي بحق العودة ووجوب إنهاء ظاهرة اللجوء التي اضطرنا إليها نحن الفلسطينيين، حتى لو كان الإبعاد من الضفة إلى غزة !

وفي هذا الجدول[2] يتضح للقارئ الكريم أعداد الفلسطينيين اللاجئين المبعثرين في البلاد، والذين يطمحون لنيل حقِّهم في العودة إلى بلادهم يومًا (ما)، ولن يطول الزمان حتى ينعم كل مشردٍ بالعودة الكريمة المظفرة إلى موطنه ومسقط رأسه، ما دام فينا شباب الإسلام وعمَّار بيوت الله، الذين امتشقوا سلاح العزِّ والكرامة، واستظلوا براية الحق والقوة والحرية .

المنطقة	داخل المخيمات	خارج المخيمات
الأردن	365650	1810060
لبنان	197860	228330
سوريا	174270	354665
الضفة الغربية	195450	579720
قطاع غزة	509335	582545
المجموع	1442565	3555320
المجموع الكلي للاجئين		4.997.885

(1) المبعدون الفلسطينيون – غسان عبد الله – مؤسسة الثقافة الفلسطينية – صـ 10

(2) أخذتُ هذا الجدول كما هو من مقال للأستاذ: غازي الصوراني الناشط في العمل الحقوقي والسياسي الفلسطيني، وعنوان المقال: معطيات وأرقام حول الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات www.alzaytouna.net .

ثانيًا : إبعاد قيادات الحركة الإسلامية إلى مرج الزهور عام 1992 م.

شاء الله_ سبحانه وتعالى_ أن يدور الزمان، وأن تتبدل الأيام، وأن يتألق هلالُ الإسلاميين وأن يأفل نجم العلمانيين، ففي انتفاضة المساجد أو الحجارة كما تُسمى انطلقت شرارة العمل الإسلامي الجهادي بصورة علنية مشرقة، متمثلةً برأس الحربة آنذاك (كتائب الشهيد عز الدين القسام) وهو الجناح العسكري التابع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وتبعهم الإخوة في (سرايا القدس) التابع لتنظيم الجهاد الإسلامي في فلسطين، وبدأت المساجد تعج بالمصلين، وعلت صياح التكبير من كل مكان، فأرعب هذا اليهود الغاصبين، فلجئوا لاتخاذ خطوة غبية، تعيد للأذهان صورة الإبعاد الأول الذي لحق بأهلنا عام 1948م.

وعلى إثر التنامي الكبير للحركة الإسلامية في فلسطين، اتخذ السلطات الإسرائيلية الظالمة قرارًا بإبعاد أكثر من من قيادات الحركة الإسلامية عن فلسطين، واختارت لهم مكانًا في الجنوب اللبناني، سُميَ: (مرج الزهور) وقد اتخذت قوات الإحتلال قرار الإبعاد في 1992/12/16م وبدأ التنفيذ في 1992/12/17م وكان عدد المبعدين: 416 قائدًا من قوَّاد الحركة الإسلامية، وقد اختاروا الدكتور: عبد العزيز الرنتيسي –رحمه الله– ناطقًا رسميًا باسمهم.

يقول د. عبد الله عمر سلطان:

" اليوم يستطيلُ يهودُ ومن خلفهم العالم النصراني الغربي المتواطئ، ويقومون بنفس الجريمة التي تحرمها قوانينهم ومواثيقهم التي لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به، لكنهم في خضم الخوف من اشتعال الإيمان في الصدور، والجهاد في الأعضاء، ينسون أنَّ المعركة منذ هذه اللحظة دارت واستدارت وتوجهت نحو أفق بديل، ولم تَعد معركة "إسرائيل" مع منظمات تطرح العلمانية حلًّا أو الشيوعية خلاصًا أو التطبيع رهانًا، أو أي مذهبٍ آخر ساقطٍ كمخرج لقضية المسلمين الأولى، كلا وفي ظروفٍ دولية وإقليمية متجددة يماطُ اللثامُ مرةً أخرى عن الإسلام، فإذا هو ماثلٌ في صورة طفل ينازلُ يهودَ، وهو يزلزلهم بآيات البقرة، أو شيخٍ وهو يحمل قنبلةَ مولتوف يقذفها في وجههم وهو يتمتم بأرجوزة ابن رواحة:

فأنْزِلنْ سكينةً علينَا ... وثبِّت الأقدامَ إنْ لاقينَا

أو امرأةٍ صبرت واحتسبت وقامت بتربية تسعةِ رجالٍ، كلٌّ واحد منهم تعده ذخرًا لقضية الإسلام شوكةً في حلق اللئام، لقد استجمعت الأمة قواها في ظلِّ التوحيد، واختارت أن تُعيد سيرةَ رجالات الإسلام الأفذاذِ الذين ضحَّوا ويضحون في سبيل القدس، لا لكونها حجرًا أو شجرًا أو قطعةَ أرضٍ، فهذا ما راهن عليه المارقون وحاولوا أن يجمعوا الفلسطينيين عليه لعقودٍ، لكنَّ أبناءَ

الإسلام تلوح لهم المساجدُ والمآذنُ وشجرُ الزيتون والإذخرُ، فيحيوها في أذهانهم رموزًا لمواطن المعركة ومسارحَ لساحِ الجهاد الذي ينتظرهم"[1].

وقد وقع لليهود الظالمين مرادُهم في إبعاد هذا الكم الكبير من قيادات وأعلام الشعب الفلسطيني، ولكن جعل الله في الشر الذي أرادوه خيرًا لم يعلموه، وأفرغ الله من فوق سبع سماوات عزةً وكرامةً لهؤلاء ما كانوا يحلمون بها لو بقوا في الأرض المحتلة، بل ما تم تدويل قضيتهم بوجهها الإسلامي الحقيقي إلا بالإبعاد، فيا سبحان الله!

وقد بقي هؤلاء المبعدون في مرج الزهور عامًا كاملًا، جلبوا بالظلم الذي وقع عليهم كل وكالات الأنباء وأغلب المحطات الفضائية، وبدءوا ينشرون قضيتهم في الليل والنهار، وأحالوا حياة البعد والقهر إلى حياة كلها حيوية وعلمية وأخوية، وبقوا مصرين على وجوب عودتهم إلى بلادهم، وقد حاولوا ذلك بالفعل عبر مسيرات العودة مرات ومرات، حتى إذا ما أدرك العدو الصهيوني أنه وقع في شر ما نصب من فخ قرر فتح البوابات أمام هؤلاء المبعدين للعودة إلى بلادهم، ليُفتح بذلك بابٌ عظيمٌ واسعٌ أمام كل المبعدين بأن العودة حقٌّ كالشمس، وأنها أقرب إلينا من أي وقت مضى .

وفي تاريخ 1993/1/7 بدأ يعود المبعدون إلى فلسطين رغم أنف العدو الصهيوني، عادوا وهم يرددون: **عائدون، عائدون إننا لعائدون ... عائدون للديار، للسهول، للجبال ... تحت أعلام الفخار والجهاد والنضال ... بالدماء والفداء والإخاء والوفاء ... إننا لعائدون .**

المطلب الثاني: إبعادٌ فرديٌّ للشعب الفلسطيني لا زال متواصلًا

منذ مطلع الانتفاضة الثانية واليهود الظالمون يعمدون لإقرار سياسة ممنهجة عندهم، مفادها: إبعاد كل من يرون ضرورة إبعاده عن البلاد، وذلك إما في الداخل الفلسطيني أو خارج البلاد، وقد زادت وتيرة الإبعاد الفردي بشكل واضح في الآونة الأخيرة، وقد بلغ عدد المبعدين منذ انتفاضة الأقصى في سبتمبر عام 2000م حتى الآن أكثر من 210 مواطنًا فلسطينيًا ولا زال اليهود الظالمون يسيرون على نفس المنهجية الظالمة.

وفي اتصالٍ مع الإخوة في "جمعية واعد للأسرى والمحررين"[1] وافاني الإخوة مشكورين بجدولٍ مطولٍ يوضح أعداد وأسماء المبعدين من فلسطين، سواء كان إبعادهم إلى داخل فلسطين أو إلى خارجها، وقد اختصرته لطوله فكان ما يلي :

---

(1) انظر: "وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم" مقال للدكتور عبد الله عمر سلطان، مجلة البيان (67/60) .

*****	المبعدون إلى غزة	المبعدون خارج فلسطين	المجموع
عدد المبعدين	163	43	**206**

ولقد استقبل أهالي قطاع غزة المبعدين في بيوتهم، وأعطوهم ما يكفيهم من مئونةٍ وبلغةٍ تكفل لهم الحياة الكريمة، وفتحوا لهم كل باب لنيل عيشة ملؤها السعادة والعزة والكرامة، ولقد كان للحكومة الفلسطينية في قطاع غزة دورٌ بارزٌ كبيرٌ في استقبالهم والاحتفاء بهم، وإعطاءهم شيئًا مما يستحقونهم من إيواء واحتضان ومكافأة مالية، يبتدئون بها حياتهم المستقبلية، وسمحت لهم إقامة المؤسسات الخاصة بهم، والروابط التي تُعنى بشؤونهم وأمورهم، ولعلهم جميعًا يُشملون بقول الله تعالى **(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100))** [التوبة: 100].

ومع أن هؤلاء الإخوة المبعدين إلى قطاع غزة أو إلى غيرها، قد استراحوا من ألم السجن وآلام الاعتقال، فإنهم لا زالوا يشعرون بمرارة الغربة عن أرض الوطن، وينالون قسطًا من عذابات السفر، فهم مبعدون عن مسقط رأسهم، ومبعدون عن أهلهم وذويهم، ومبعدون أيضًا عن ممارسة حقهم الشرعي في ممارسة الجهاد والمقاومة من أجل تحرير بلادهم من أيدي الغاصبين .

وهؤلاء المبعدون وإن خرجوا من ظلام السجن وأُعتقوا من ظلم السجَّان إلا أنهم لا زالوا يعانون من الكثير من الآلام، وفي مقدمتها البعد عن الأهل والأحباب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، عَنِ النَّبِيِّ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، قَالَ: "**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**"[2].

خاتمـــــــــــة:

من خلال ما سبق عرضه تبين للباحث أن الإبعاد والإخراج من البلاد عقوبة مارسها كثيرٌ من الأقوام ضد أنبياءهم ورسلهم، فباءوا بغضبٍ على غضب، وذلك لطردهم الأنبياء والرسل،

---

(1) جمعية واعد للأسرى والمحررين، جمعية تُعنى بالأسرى والمحررين، في الداخل الفلسطيني، وقد بزغ فجر هذه الجمعية في الانتفاضة الثنية بشكل لافت، وازداد ذكر اسمها في الآونة الأخيرة، خاصة بعد صفقة وفاء الأحرار، وموقعهم للتواصل معهم: www.waed.ps .

(2) رواه البخاري: ح1804/ص141، كتاب: العمرة، باب: السفر قطعة من العذاب.

ولقد على هذه السنة الخبيثة كثيرٌ من الذين كفروا حيث عمدوا لتهديد من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر بإخراجه من بلده وبإبعاده عن موطنه .

وممن ورث هذا الخبث اليهود الآثمون فإنهم لا يرقبون في المؤمنين إلًّا ولا ذمة، ولا يتركون سبيلًا فيه تنغيص على حياة المؤمنين إلا سلكوه، فهم قومٌ بُهت لا يحترمون ميثاقًا ولا يقدرون عهدًا، وقد غرَّتهم قوتُهم وأزهاهم بطشُهم، وما وجدوا من يوقفهم عند حدِّهم فتمادَوا في غيِّهم، واستطالوا في ظلمهم وبطشهم.

وسياسة الإبعاد التي يسلكها اليهودُ الظالمون مع أبناء شعبنا الفلسطيني سياسة ممنهجة يسيرون بها عبر خطة محكمةٍ، يهدفون من وراءها إلى تفريغ البلاد العربية الإسلامية من سكَّانها الأصليين، ليخلو لهم الجو في القدس وغيرها، ليقيموا ما يشاءون من بدعٍ وخرافاتٍ يزعمون أنها من الدين، وما هي إلا ضلالات وخزعبلات .

والتاريخ خير شاهدٍ أن المبعدين عن بلادهم –ظلمًا– يعودون ولو بعد حين، وعد الله غير مكذوب، وعد الله به من سبقنا من المؤمنين، ولا زال وعد الله للمظلومين قائمًا ما قامت السموات والأرض، وما هذه الدولة الظالمة المقامة فوق أرضنا العربية الإسلامية، إلا دولة السحاب في فصل الصيف، فسرعان ما سينقشع بإذن الله_ تعالى_، ولكل المُبعدين عن ديارهم نصيب من وعد الله لرسوله_ صلى الله عليه وسلم_ بالعودة إلى مكة بعد أن أخرجه قومها منها **(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85))** [القصص: 85].

وإن حقَّ العودة الذي يطالب به الفلسطينيون في كل المحافل لا يسقطه مفاوضات هزيلة، ولا اتفاقيات ضعيفة ذليلة، ولقد بات واضحًا أن فئةً من الفلسطينيين تسعى لإسقاط حقِّ العودة وجعله حقًّ فرديًا، وهم يتكلمون اليوم عن حق التعويض والتوطين، بل ويصرح بعضُهم[1] أنه لا يرغب بالعودة إلى بلده التي أبعد عنها وأخرج منها، ومثل هؤلاء لا يمثلون أغلبية الشعب الفلسطيني، غير أن لهم نصيبًا ليس بالهين من الإعلام والقرار الفلسطيني، ولذلك يُسمعون، ويقدمهم الاحتلال الإسرائيلي على أنهم الممثلون الرسميون للشعب الفلسطيني، وللأسف يجد بقية أبناء شعبنا وعلى المستويين الرسمي والشعبي أنفسهم مضطرين للتعامل معهم!.

---

(1) من هؤلاء رئيس السلطة الفلسطينية –للأسف– محمود رضا عباس، والذي صرح للتلفزيون الإسرائيلي في مقابلة خاصة أنه لا يرغب بالعودة إلى صفد، ويكفيه أن يمر عليها أو أن يراها من بعد، وهذا والله من العجب العجاب، أن ينطق به من يتقلد أعلى منصب فلسطيني .

توصيـــــــــــــــات:

بعد هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

1. إعطاء قضية المبعدين حقَّها الكافي في كل المحافل المحلية والدولية.
2. تفعيل دور المؤسسات التي تُعنى بالمبعدين قديمًا وحديثًا.
3. إذكاء روح الجهاد في نفوس أبناء شعبنا خاصة لوضع حدٍّ للاحتلال.
4. الاهتمام بالمبعدين خارج وداخل فلسطين، حتى نكون وإياهم على تواصل.
5. إقامة المؤتمرات والأيام الدراسية لتفعيل قضية المبعدين للضغط على الاحتلال.
6. تسمية الأمور بمسمياتها الرسمية الشعبية، فهذا مطالبٌ بالحقِّ ويَسعى له، وذاك مفرطٌ به متنازلٌ عنه.

وصَلِّ اللهمَّ وسلِّم على نبينا محمَّدٍ

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **المكتبة الشاملة CD.**

1. الإبعاد للدكتور عبد الله سلطان، مقال في مجلة البيان .
2. البداية والنهاية لابن كثير، دار الفكر، طبعة 1407 هـ.
3. التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.
4. تفسير القرطبي، واسمه: الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1964م.
5. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، الطبعة الأولى 2000م.
6. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية 1418 هـ.
7. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة للشيخ ناصر الدين الألباني، دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى 1412هـ.
8. سنن أبي داود، المكتبة العصرية – صيدا بيروت.
9. سنن الترمذي، مطبعة مصطفى البابي، الطبعة الثانية 1395 هـ.

10. صحيح الإمام مسلم، واسمه [المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] دار إحياء التراث بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
11. صحيح البخاري، واسمه [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه] دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1412هـ .
12. ضعيف سنن الترمذي للشيخ الألباني، عناية زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ.
13. فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة – بيروت 1379 هـ.
14. فتح القدير للإمام الشوكاني، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1414 هـ.
15. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى 1427 هـ.
16. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق – بيروت والقاهرة– الطبعة السابعة عشر 1412ه.
17. قصص الأنبياء للإمام ابن كثير، مطبعة دار التأليف بالقاهرة ، الطبعة الأولى 1388 هـ.
18. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ.
19. المبعدون الفلسطينيون خلال الانتفاضة – رشاد المدني وزياد أبو صالح .
20. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب وآخرون، الطبعة الأولى 1421هـ.
21. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المنتشرة على الألسنة للإمام السخاوي ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1405هـ.
22. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، إشراف ومتابعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض.
23. نماذج من الدعاة الصالحين لشيخ أبي بكر الجزائري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدنية النبوية.
24. وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم" مقال للدكتور عبد الله عمر سلطان، مجلة البيان.

- www.alzaytouna.net
- www.waed.ps .
- www.google.ps